

الفصل الحادي عشر

ماليزيا وجيرانها

كنت واقفاً في محطة القطار بمدينة سيريمبان مع صديقي الماليزي أنير، في انتظار القطار المتجه إلى كوالالمبور، فلما جاء القطار سألنا عن وجهته قبل الركوب فإذا هو متجه إلى دولة سنغافورة! هكذا بكل بساطة!

فدول الآسيان كسنغافورة وبروناي وتايلاند لا يحتاج السفر بينها إلى تأشيرة بل الحدود مفتوحة بالبطاقة فقط، فإجراءات الانتقال من سنغافورة لماليزيا أو العكس أيسر وأسرع من التنقل بين بورسعيد والعريش، ولكن هذه الميزة متوفرة لمواطني تلك الدول حصراً، لكنني كمصري أحتاج لانتظار شهر أو اثنين لاستخراج تأشيرة دخول لأي من هذه البلدان، لكن الأمر بالنسبة لماليزيا سهل فدخول ماليزيا بلا تأشيرة لكل الجنسيات، وأي شخص يستطيع أن يحجز تذكرة في أي وقت ويزور ماليزيا بدون أي إجراءات مسبقة، ولكن الإقامة أكثر من ٩٠ يوم تحتاج لتأشيرة ٤٦.

٤٦ وبالمناسبة فإن المصريين لا يحتاجون لتأشيرة لزيارة إندونيسيا فقد تم إلغاؤها

وبسبب هذه الميزة في ماليزيا فالسياحة فيها مزدهرة جداً، ويزورها سنوياً حوالي ٢٥ مليون سائح، ويخططون لأن يصل تعداد السياح لما يقارب تعداد سكانها البالغ أكثر من ٣٠ مليون نسمة.



سنغافورة لؤلؤة الشرق

وسنغافورة يُنظر لها في ماليزيا نظرة إعجاب بسبب تقدمها الكبير وغناها الفاحش برغم صغر مساحتها، إذ أن سنغافورة كانت إحدى ولايات ماليزيا حتى عام ١٩٦٥، عندما قرر رئيس وزراء ماليزيا تنكو عبدالرحمن، طردها من الاتحاد الماليزي بسبب تكرار اعتداءات الصينيين -الذين يمثلون الأغلبية فيها- على المسلمين، فرأى عبدالرحمن أن عدوى هذه الاضطرابات سوف تمتد لباقي الولايات ذات الأغلبية المسلمة فيتنفض المسلمون للثأر لإخوانهم وتنتشر الاضطرابات العرقية،

فقرر بتر هذا العضو الصغير من الجسد الماليزي منعًا لتسمم باقي الجسد ودرءًا للفتنة الوشيكة التي تهدد وحدة وأمن البلاد، ووقتها خرج الزعيم السنغافوري الشهير، لي كوان يو، يبكي على التلفاز حزناً على طرد جزيرته الصغيرة من الاتحاد، وخوفاً عليها إذ كيف تقف وحدها في مواجهة العالم، وما هي إلا مجرد ميناء حوله مجموعة من البيوت، لكنه وعد بني وطنه وهو يغالب دموعه أنه سيجعل من هذا الحدث نقطة انطلاق وتحدي.

وهو ما تم بالفعل، فجعل منها أعجوبة الكون، فأصبح المواطن السنغافوري ثالث أغنى فرد في العالم إذ يبلغ متوسط دخل الفرد بها أكثر من ٥٦ ألف دولار سنوياً ٤٧، وهي مرتبطة بعلاقات وثيقة مع إسرائيل، التي أسست الجيش السنغافوري من الألف للياء بعدما رفضت مصر وقتها إجابة الرئيس السنغافوري «لي كوان يو»، عندما طلب منها مساعدته بالخببرات العسكرية، لذا تعد سنغافورة اليوم حليفاً أمريكياً مهماً في جنوب شرق آسيا.

تايلاند

أما تايلاند فالجزء الجنوبي منها عبارة عن إقليم مسلم احتله الجيش التايلاندي عام ١٩٠٢، بالتنسيق مع الاحتلال البريطاني. وهذا الإقليم الذي كان يسمى «مملكة فطاني» وسكانه مسلمون ينتمون للعرق المالاي ويتحدثون اللغة الماليزية، ويكتبونها بالأحرف العربية، وليس هذا فقط بل لهجتهم هي نفس لهجة ولاية كلتنن الماليزية التي تقع على الجانب الآخر من الحدود، إذ أن إقليم فطاني هو بالأساس جزء من ماليزيا، لكن بريطانيا كعادتها لا تترك البلد المحتل إلا بعدما تترك خلفها مشكلة حدودية تكون مصدراً دائماً للتوتر والنزاع، فقسمت مملكة فطاني القديمة إلى جزأين ومنحت الجزء الشمالي لمملكة سيام البوذية -والتي تعرف اليوم بتايلاند-.

وشهد مسلمو فطاني تحت الحكم التايلاندي مجازر مروعة، وقضى الكثير منهم أعمارهم في غياهب السجون، وفرضت الحكومة عليهم تعلم اللغة التايلاندية وغيّرت أسماء الأماكن والشوارع لمحو الهوية الإسلامية، مستفيدة من تجربة الكيان الصهيوني الذي لم يبخل عليها بخبراته الواسعة في هذا المجال.

وقامت الحكومة بتهجير البوذيين للمحافظات الجنوبية من أجل تغيير التركيبة السكانية بها وتحويل المسلمين من أغلبية

لأقلية لقتل طموحاتهم بالاستقلال.

وإقليم فطاني يزخر بكم هائل من الثروات الطبيعية في البر والبحر، إلى جانب الاكتشافات الجديدة لحقول البترول والغاز الطبيعي، مما زاد من تمسك النظام التايلاندي بالإقليم، فالثروة تعد أحياناً نقمة على صاحبها عندما تجعله هدفاً للمؤامرات الطامعين، وهذا حال مناطق المسلمين في أنحاء العالم فهي غالباً أغنى الأراضي بالثروات حتى لكأن البترول يتواجد حيث يوجد المسلمون.

وبرغم اشتعال المواجهات من حين لآخر بين البوذيين والجيش التايلاندي من جهة والمسلمين من جهة أخرى، إلا أن ماليزيا لا تتدخل في المواجهات ولا تقدم الدعم للمجاهدين مثلاً ولا تطالب باستعادة الإقليم بل تحتفظ بعلاقات حسن جوار مع تايلاند مما يسمح لها باستضافة الطلبة الفطانيين للدراسة بها وسهولة التنقل عبر الحدود مما ساعد على تقوية الروابط بين المسلمين على جانبي الحدود وعدم ذوبانهم وسط السكان البوذيين، وتتدخل الحكومة الماليزية في محادثات السلام بين حكومة تايلاند ومسلمي الجنوب كوسيط نزيه يحظى بثقة كل الأطراف.

فماليزيا تتبع نظرية تسمى في العلاقات الدولية باسم «النظرية المثالية» أو «الليبرالية» والتي تقول أن تقوية اقتصاد الدولة وتكوين مصالح مشتركة مع الدول الأخرى أنفع لمصالحها من تقوية نفسها عسكرياً.

بروناي

هي مملكة أشبه ما تكون بدولة قطر في محيطنا العربي، من حيث هي دولة صغيرة جداً وغنية وتعتمد على الغاز الطبيعي، وبرغم أن الاقتصاد الإندونيسي مثلاً أضخم بكثير من اقتصاد بروناي إلا أن صغر عدد السكان والذي يقدر بحوالي ٤٠٠ ألف مواطن يجعل دخل الفرد أضعاف نظيره الإندونيسي، كالاقتصاد المصري الذي يزيد حجمه على الاقتصاد القطري ولكن عندما يتقاسمه أكثر من ٩٠ مليون مواطن يقل متوسط نصيب الفرد الواحد.

ولغة بروناي هي اللغة الملاوية، والمواطن البروني خامس أغنى مواطن على مستوى العالم، والسلطان البروني حسن بلقية حائز على لقب ثاني أغنى ملك على وجه الأرض، وهو عربي الأصل تعود أصوله إلى اليمن.

والدولة البرونية تطبق الشريعة الإسلامية بشكل جزئي منذ زمن طويل فالخمور ممنوعة التداول بين السكان، وقد أعلن السلطان حسن بلقية عن بدء خطة جديدة لتطبيق الشريعة الإسلامية بحذافيرها لكن بشكل تدريجي على مدار ٣ سنوات، بدأت من ١ مايو ٢٠١٤.

إندونيسيا

إندونيسيا هي الشقيقة الكبرى لماليزيا بل وكل الدول الإسلامية من حيث تعداد السكان، ففيها أكثر من ٢٠٠ مليون مسلم، وتتكون من أكثر من ١٧٥٠٠ جزيرة، والفرق بين اللغة الإندونيسية واللغة الماليزية كالفرق مثلاً بين اللهجة المصرية والجزائرية، فالشعبين الإندونيسي والماليزي هما في الأصل شعب واحد، لكنهما لم يكونا دولة واحدة في يوم ما، بل كانت كل منهما مقسمة إلى عدة دويلات مستقلة، كبلاد الشام قديماً التي كانت فيها إمارة دمشق لا تربطها أي روابط سياسية بإمارة حلب برغم انتمائهما لشعب واحد.

لذلك كان إعلان الاتحاد الماليزي عام ١٩٦٣، صدمة للنظام الإندونيسي الذي كان يأمل في ضم الجزء الشرقي من ماليزيا لدولته الكبيرة، وقد تسببت الأطماع الإندونيسية في نشوب صراع عسكري ودبلوماسي بينهما في الفترة من عام ١٩٦٣

وحتى عام ١٩٦٦، حيث سعى أحمد سوكارنو، رئيس إندونيسيا وقتها، لإثارة القلاقل في شرق ماليزيا ليمنع انضمامها لولايات الغرب ويضمها لبلاده، مستغلاً الاختلافات العرقية والدينية بين الشرق والغرب، إلا أن الدولة الماليزية الوليدة استعانت بالقوات البريطانية والاسترالية، في صد هجمات الإندونيسيين، واستمرت الحرب لسنوات حتى استولي سوهارتو، القائد العسكري الإندونيسي على السلطة، عام ١٩٦٦، وعقد اتفاق «بانكوك» وهو اتفاق سلام وحسن جوار مع ماليزيا، واستعاد عضوية الأمم المتحدة بعدما كانت إندونيسيا انسحبت منها احتجاجاً على اعترافها بدولة ماليزيا!!

إلا أن حالة التنافس لم تهدأ بين الجارتين حتى وقتنا الحاضر، فهناك إلى الآن عدد كبير من الإندونيسيين يشعرون بالاحتقان تجاه ماليزيا لدرجة أنه قد تندلع المظاهرات في العاصمة الإندونيسية، جاكرتا، ضد الماليزيين لأسباب صغيرة كالخلاف حول أصل رقصة شعبية من الفولكلور المشترك بينهما، أو حادث فردي في إحدى الدولتين قام به أحد مواطني الدولة

٤٨ وجاء هذا التحول الحاسم في موقف إندونيسيا من ماليزيا مع التغييرات السياسية التي شهدتها إندونيسيا في أعقاب المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قام بها الحزب الشيوعي الإندونيسي في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٥ ومن أبرز تلك التغييرات حظر نشاط الحزب الشيوعي.

الأخرى، وفي حين يتهم بعض الإندونيسيين نظراءهم الماليزيين بالتعالي عليهم، إذ يعمل عدد منهم في ماليزيا كعمال، يفسر البعض الآخر ذلك بأنه مجرد حقد موجه ضد جارتهم الغنية ماليزيا.

وتسبب أحياناً الخلافات على مناطق حدودية في إذكاء روح البغضاء بين الشقيقتين، وكان عنوان الخلاف ذات مرة هو ادعاء الإندونيسيين أن النشيد الوطني الماليزي نفسه مسروق من لحن اندونيسي، لكن تم تشكيل لجنة لبحث الأمر وتوصلت إلى أن اللحن والنشيد كلاهما من أصل لحن انجليزي!

الفلبين

منذ تشكيل الاتحاد الماليزي عام ١٩٦٣ واجهته ردود فعل قوية من جانب الرئيس الفلبيني ماكباغال، وجاءت معارضة الفلبين لاتحاد ماليزيا لطمعها في ضم ولاية صباح - التي تقع في إقليم بورنيو - لحدودها، فوقفت ضد انضمام صباح لماليزيا إلا أن الماليزيين ضموها بعد تنظيم الأمم المتحدة لاستفتاء عام اختار فيه أهالي صباح وسراواك الانضمام للاتحاد الماليزي، وانعقدت مفاوضات عام ١٩٦٢، في مانيلا بين حكومات الفلبين وماليزيا وإندونيسيا حول هذا الموضوع ولكن لم تصل إلى أي نتيجة.

واستمرت العلاقات مقطوعة بين البلدين حتى وصل الرئيس الفلبيني، فرديناند ماركوس، إلى السلطة عام ١٩٦٥، واعترف بخط الحدود مع ماليزيا وعقد اتفاق سلام معها عام ١٩٦٦.

وبسبب اندلاع المواجهات بين حكومة الفلبين وسكان الجنوب المسلم، ومحاولة الجيش الفلبيني القضاء على الوجود الإسلامي في الجنوب، وتنصير المسلمين، شكلت ولاية صباح منطلقاً لدعم أنشطة المقاومة الإسلامية في جنوب الفلبين في السبعينيات، حيث كان تون مصطفى، رئيس وزراء الولاية، يدعم مسلمي الفلبين، وكان رجلاً متديناً، حتى خشيت حكومة كوالالامبور من عزمه إنشاء إمارة إسلامية تضم ولاية صباح ومقاطعات مندناو وصولو وبالاوان الفلبينية، وعزز من مخاوفها غنى الولاية بالثروات الخشبية الضخمة وبعدها عن مركز السلطة.

فأيدت الحكومة حزب «بيرجايا» المعارض لتون مصطفى وضمته للتحالف الحكومي عام ١٩٧٥، فاستقال مصطفى من منصبه بعدما خسر الانتخابات في ١٩٧٦، وارتد عدد من أبناء القبائل البدائية التي كان تون مصطفى قد بدأ نشر الإسلام بينهم.

وما تزال «ولاية صباح» تشكل كعب أخيل ٤٩ العلاقة بين ماليزيا والفلبين، وترجع جذور المشكلة إلى إدعاء حكومة الفلبين أن ولاية صباح هي ملك لأحد مواطنيها الذي كان سلطانا لمنطقة سولو الفلبينية وقام بتأجيرها للاحتلال الانجليزي في القرن قبل الماضي ٥٠، وما تزال ذرية هذا الرجل -

٤٩ كعب أخيل هو مصطلح يشير إلى نقطة ضعف ممتدة في الشخص على الرغم من كل القوة التي يمتلكها، والتي إن أصيبت تؤدي إلى سقوطه بالكامل. ٥٠ شكل عقد تأجير منطقة صباح من قبل السلطان جمال العالم، إلى شركة الهند الشرقية التي تحولت إلى شركة برونيو نقطة تحول تاريخية في ٢٢ يونيو ١٨٧٨م، ونقطة الخلاف الكبرى في هذه الوثيقة هو ما يحمله عقد الإجارة من معنى التعاقب الدولي أو إجارة، علما بأن العقد ينص على المصطلحين وأنه مفتوح إلى الأبد.

وفي ٢٢ يوليو ١٨٧٨م أي بعد شهر من التوقيع على وثيقة تأجير صباح، وقع سلطات سولو على وثيقة التنازل عن كافة الصلاحيات السيادية على أملاكه إلى اسبانيا، وبذلك فإن سيادته على صباح تكون قد سقطت.

وفي مارس ١٨٨٥ تم التوقيع على بروتوكول مدريد بين اسبانيا وبريطانيا وألماني يقضي بتنازل إسبانيا عن أي ادعاءات لها في جزيرة برونيو والتي كانت تابعة لسلطة سولو.

وفي ٢٩ أبريل ١٩٠٢ وقع سلطان سولو جمال الكرام وثيقة تقضي بالتنازل عن سيادته على برونيو على الرغم من أن بروتوكول مدريد والاتفاقيات السابقة تقضي بأن لا سيادة له أصلا على المنطقة.

في مؤتمر آسيان عام ١٩٧٧ في كوالالمبور أعلن ماركوس سحب بلاده ادعاءات المطالبة بصباح من أجل استقرار الآسيان، وفي عام ١٩٨٩ أعلن السلطان جمال الكرام تنازله عن المطالبة بصباح إلى الحكومة الفلبينية.

وهم مسلمون بالمناسبة- يتوارثون حق ملكية الأرض ويريدون فسخ عقد الإيجار وطرد المؤجر الجديد (الحكومة الماليزية).

ورغم غرابة القصة إلا أن العشرات من العائلة وأنصارهم قد ضحوا بحياتهم في سبيل هذه القضية، حيث هاجم المسلحون الولاية في مارس ٢٠١٣، وحدثت بينهم وبين القوات الماليزية اشتباكات دموية انتهت إلى لا شيء! فبعد شهر من على المواجهات وصل عدد القتلى أكثر من ستين شخصا بينهم عشرة من الشرطة الماليزية.

وظهرت حكومة الفلبين بموقف الحياد حرصا على مصالح ٨٠٠ ألف فلبيني يعملون في ولاية صباح خاصة في نخيل الزيت وقطاعي البناء والخدمات، إذ أن أقرب نقطة فلبينية لا تبعد سوى ١٥ دقيقة، ويتبادل السكان المعاملات التجارية وسط البحر.

ومع ذلك تدفع الحكومة الماليزية ١٨٠٠ \$ سنويا تمثل أجرة الولاية لسلطان سولو، وهو تقليد متبع منذ أكثر من مائتي سنة.

في فوهة المدفع الصيني



تشير توقعات المحللين السياسيين إلى أن القرن الواحد والعشرين سيكون قرنًا صينيًا؛ أي أنه كما شهد القرن العشرين هيمنة أمريكية فإن القرن الحالي سيشهد انطلاق العملاق الصيني.

استراتيجية «شرائح السجق»

ويكشف المفكر الاستراتيجي الهندي، براهما تشيلاني، أن الطريقة الصينية في التوسع والاحتلال، تتلخص في أسلوب الزحف بخطوات صغيرة وبطيئة، لا تشكل أي منها بمفردها، استفزازًا كبيرًا ومبررًا كافيًا لنشوب حرب، إلا أنها تؤدي

بتراكمها مع مرور الوقت إلى تحول استراتيجي كبير لصالحها، كما حدث في نزاعها الحدودي في الهيمالايا، حيث احتل الرعاة الصينيون أماكن الرعاة الهنود قليلاً قليلاً حتى صنعوا واقعاً جديداً تدخلت القوات العسكرية بعد ذلك للحفاظ عليه، بصفته حقاً مكتسباً للصين.

ويسمى هذه الاستراتيجية «استراتيجية تقطيع شرائح السجق» *“salami-slicing strategy”*، إذ يشبهها بمن يقطع السجق إلى شرائح رقيقة للغاية، وميزة هذه السياسة التوسعية أنها لا تمثل في أي مرحلة من مراحلها تحدياً كبيراً للخصم بشكل يجعله مستعداً للمغامرة بالدخول في حرب غير واضحة النتائج لاسيما مع دولة بحجم الصين.



فلأول مرة في تاريخها تحتفل الصين بذكرى الحرب العالمية بإقامة عرض عسكري ضخم ٥٢ وكأنها توجه رسالة للعالم -وبالأخص جارتها اليابان حليفة أمريكا- بأنها ستثأر من المظالم التي تعرضت لها في الحرب العالمية.

والروح العدائية والتعصب عند الصينيين يزدادان بشكل مخيف، لاسيما مع تزايد قوتهم الاقتصادية، ويشكل الصعود الصيني تهديداً قوياً لجيرانها ومن ضمنهم ماليزيا التي تقف في فوهة المدفع الصيني مباشرة، وأبرز مثال على ذلك هو مشكلة «سبراتلي» التي جعلت ماليزيا -بالإكراه- دولة جارة للصين بينهما خط حدودي مشترك رغم بعد المسافة بينهما.

جزر سبراتلي

هي مجموعة جزر صخرية صغيرة مهجورة تقع في بحر الصين الجنوبي، بعضها عبارة عن مجرد شعاب مرجانية، ومعظمها يقع في المياه الدولية، ولكن الصين تدعي ملكيتها، واحتلتها بالقوة منذ فترة، وردمت أجزاء من المياه وشيدت جزراً صناعية وأقامت قواعد عسكرية لمواجهة جيرانها، وأغلقت المنطقة ومنعت السفن الأجنبية من المرور بالمنطقة.

وتأتي أزمة جزر سبراتلي لتمثل محك لاختبار القوة والنفوذ بين الصين وأمريكا مهددة بنقل الملف من خانة التنافس إلى خانة التصارع؛ إذ تبلغ الأهمية الاستراتيجية لهذا البحر أضعاف أهمية قناة السويس ويحتوي البحر على مخزون ضخم من البترول والغاز الطبيعي، بجانب غناه بمصايد الأسماك.

وبدأت الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة بتقليل وجودها العسكري في المنطقة العربية للتفرغ لمواجهة الصين في الشرق، إذ تضع مواجهة نفوذ الصين على رأس أولوياتها.

وتطالب كل من ماليزيا والفلبين وتايوان وبروناي وفيتنام بحقوقها في المياه؛ باعتبار أن القانون الدولي ينص على أن المياه الإقليمية لكل دولة تبلغ ١٢ ميلاً بحرياً أي حوالي ٢٢ كم مربع، إلا أن الصين تدعي ملكية تلك المساحة التي تدخل أجزاء منها في المياه الإقليمية لبعض الدول وتبعد عن السواحل الصينية بمسافة شاسعة.

ولا تستطيع ماليزيا إعلان حرب على الصين مهما انتهكت حدودها، إذ أنها تعتمد عليها في تسليح جيشها، وتعد الصين أكبر شريك تجاري لها، ولها مصالح كبيرة لديها، وصلت لدرجة «الشراكة الاستراتيجية» بين البلدين في أكتوبر ٢٠١٣، إلى جانب أن أكثر من خمس المواطنين الماليزيين أصلاً صينيون

أقحاح، لذا تطمئن الصين تمامًا لضعف الموقف الماليزي وتجاهل الرد على وزارة الخارجية الماليزية التي ترسل كل أسبوع احتجاجات على تواجد سفن خفر السواحل الصينية في مياهها الإقليمية أمام ولاية ساراواك بشرق البلاد. ويتجنب الصينيون مجرد التعليق أو الرد على المطالبات الماليزية المتكررة.

فحين تكون مصالحك مرهونة بمصالح خصمك، لا تكون مطلق اليد في التصرف بل تتصرف بحذر بالغ لحساسية موقفك، وحين يغيب أي تكامل اقتصادي حقيقي بين الدول الإسلامية تحاول كل دولة معالجة الأمر بمفردها، فتلجأ تلك الدولة لأمريكا والأخرى لروسيا والثالثة للصين، مع أن إمكانيات المجموع المفتت لو اتحد، أكبر بكثير من أي قوة أخرى على وجه الأرض، فالدول الإسلامية هي أغنى دول العالم على الإطلاق في الموارد والثروات.

حلم الثمانية

ربما لو كانت مبادرة «دول الثمانية» مفعلة لكان الأمر مختلفًا، فقد كانت مبادرة عظيمة لكن الزمن تجاوزها، ولم تحظ برعاية من دولها الثمانية التي تضم تركيا ومصر وإندونيسيا وماليزيا ونيجيريا وباكستان وبنجلاديش وإيران (مع تحفظي على الأخيرة)، وهذه المبادرة أطلقها رئيس الوزراء التركي الراحل،

نجم الدين أربكان، عام ١٩٩٧، لتعزيز التعاون الاقتصادي بين أكبر دول العالم الإسلامي، والتي تضم وحدها حوالي مليار نسمة، أي أنها سوق هائلة.

رأت المبادرة طريقها للنور لكن الحلم الأربكاني لم يجد من يرعاه بعد رحيل المؤسس عن السلطة التي لم يكمل فيها عامًا واحدًا، وتحول الحلم إلى أعمال روتينية تدرج على جدول أعمال الدبلوماسيين واجتماعات تعقد وبيانات تصدر دون أن يكون لذلك أثر ملموس في تقريب المسافات بين الأشقاء الثمانية، أو أن يكون ذلك بداية لإنشاء السوق الإسلامية المشتركة فضلًا عن تحقيق الوحدة الإسلامية المنشودة.